تقرير المجموعة الدولية للأزمات عن المشهد اللبناني: 'الوضع في لبنان يحدد ملامح النظام الإقليمي القادم'

16-4-2005

ويعترف التقرير بأن حزب الله بات مدركا بأن وقت سوريا في لبنان قد أوشك على الأفول، وأن الحزب ليس لديه مكاسب يجنيها من وراء صراع أهلي في لبنان، لذلك كان من الحريصين على تأكيد مبدأ الحوار الوطني، وأن جدول الأولويات تغير بعض الشيء لديه بحيث أن الشأن المحلي ودور الحزب في المعادلة السياسية الداخلية بات الهم رقم واحد

بقلم أميمة عبداللطيف

"لبنان بعد سوريا وسوريا بعد لبنان": كان عنوان التقرير الأخير الذي أصدرته المجموعة الدولية للأزمات مؤخرا والذي يرصد أبعاد العلاقة السورية اللبنانية وتأثير الانسحاب السوري من لبنان علي الوضع الإقليمي.

يعتبر التقرير بأن اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري قد أفضى إلى سلسلة من الأحداث من شأنها أن تحدث تغييرا جذريا ليس لمستقبل لبنان فحسب وإنما لسوريا والمعادلة الإقليمية بأكملها. ورغم أن الانسحاب السوري من لبنان يسير على وتيرة متسارعة وبشكل سلمي، وأن لبنان على طريق عقد انتخابات برلمانية -رغم أنه لم يتضح حتى الآن مصير الانتخابات- فإن التقرير يعتبر بأن مخاطر حدوث أعمال عنف مازالت قائمة بشكل كبير. ومصادر العنف بحسب التقرير قد تكون من قبل النظام السوري، الذي في خضم شعوره بأن بقاءه في لبنان يتعرض للخطر، ربما يرد بما تبقي من أدوات له، وعبر "حلفائه" في لبنان قد يهدد الأهداف الأمريكية في المنطقة، كما أن الطبقة السياسية اللبنانية المنقسمة على نفسها قد تتسبب في إثارة أجواء تؤسس لتدخل خارجي وتمهد الطريق لنوع من الفوضى الداخلية.

ويجزم كاتبو التقرير بأنه لا يجب الاستهانة بما يحدث في لبنان لأن التطورات السياسية في هذا البلد الصغير من شأنها أن تؤدي لتداعيات خطيرة بالتأكيد على كل من سوريا وحزب الله ومحتمل على الجبهة الفلسطينية الإسرائيلية، وحتى العراق لن يكون معصوما أو بعيدا عن هذه التداعيات.

يرى التقرير بأنه أيا كانت النوايا لأولئك الذي اغتالوا الحريري، فالحادث من دون شك رفع وتيرة الضغوطات على سوريا وأعطى زخما قويا لمجموعة من الفاعلين والأهداف، فالولايات المتحدة كان من ضمن أولوياتها إنهاء الدعم السوري للمجموعات الفلسطينية الراديكالية وحزب الله والمقاومة العراقية. أما فرنسا، والتي تعد أكثر الدول اهتماما بالشأن اللبناني، فقد أدى مقتل الحريري إلى توحد عددا من أعداء النظام السوري على مجموعة مطالب وهي الانسحاب السوري المخابراتي والعسكري من لبنان ومعرفة الحقيقة بشأن من أغتال الحريري وانتخابات نيابية حرة ونزيهة تحت المراقبة الدولية.

ويصور التقرير المعارضة اللبنانية على أنها سعت للتأكيد على مفاهيم الوحدة الوطنية والابتعاد عن البعد الطائفي، وكذلك عن أي مواقف متطرفة من شأنها أن تستفز حزب الله أو تشعر الطائفة الشيعية بنوع من العزلة (وهذا أمر غير صحيح بالمرة لمن يتابع الشأن اللبناني مؤخرا، ومن وحي كتابات لبنانية عديدة أشارت إلى أن قسما في المعارضة اللبنانية عمد إلى وضع حزب الله في موقف الدفاع عن النفس، وكيف أنه كانت تثار تساؤلات حول موقف الطائفة الشيعية بشكل كان يشكك في ولائها للبنان ووصل الأمر إلى اتهامها بالولاء لسوريا الدفاع عن الوجود السوري، وذهب البعض إلى اتهام حزب الله صراحة أنه سيأخذ البلاد إلي أتون صراع إقليمي، لبنان في غنى عنه).

ويعترف التقرير بأن حزب الله بات مدركا بأن وقت سوريا في لبنان قد أوشك على الأفول، وأن الحزب ليس لديه مكاسب يجنيها من وراء صراع أهلي في لبنان، لذلك كان من الحريصين على تأكيد مبدأ الحوار الوطني، وأن جدول الأولويات تغير بعض الشيء لديه بحيث أن الشأن المحلي ودور الحزب في المعادلة السياسية الداخلية بات الهم رقم واحد. ويرصد التقرير أن ثمة رغبة أمريكية بعدم الانجرار في الصراع الإقليمي حول نزع سلاح حزب الله، وقد ركز الخطاب الأمريكي على الساحة اللبنانية فقط، بدلا من أن يوسع دائرة انخراطه في المشهد اللبناني السوري ليشمل حزب الله والمطالبة بنزع سلاحه في إطار حرب بوش ضد الإرهاب أو تغيير النظام في سوريا علي الأقل حتى اللحظة.

ثم يأتي التقرير على ذكر العلاقة السورية الأمريكية ومدى تأثرها بما حدث، واعتبر بأنه لا الولايات المتحدة ولا المجتمع الدولي لديه "ولعا" بإثارة الخلاف حيال الوضع السوري اللبناني. وكون سوريا ستغادر لبنان، أمر صار في حكم الواقع ولكن السؤال هو ما سيخلفه الانسحاب السوري. وهناك سيناريوهات سوداوية تتعلق بالمرحلة اللاحقة على الانسحاب ومنها الفوضى والحرب الأهلية والمواجهة الشاملة بين إسرائيل وحزب الله. ورغم خطورة الوضع على الجبهة اللبنانية، إلا أن التقرير يكاد يجزم بأنه من خلال قراءة الأوضاع حاليا، فإن هذه السيناريوهات تبدو إما غير مناسبة أو مبالغ فيها، غير أن بذور العنف تظل قائمة.

فمن وجهة النظر السورية تبدو الرغبة الأمريكية المحمومة حيال سيادة لبنان ليس سوى لعبة أمريكية للإخلال بالاستقرار في سوريا والدخول في نظام إقليمي جديد، ولكن على الرغم من ضعفه وقلة الدعم السياسي الذي يحظي به، فإن التقرير يحذر من أن النظام السوري مازال قادرا من خلال بعض أدواته وحلفائه من أن يثير حالة من الفوضى الإقليمية في حال شعر أن وجوده ذاته يتعرض للخطر (هذه أيضا رؤية مبالغ فيها بعض الشيء لأنها تنسب للنظام السوري رغم ضعفه قدرات خارقة على تهديد الاستقرار الإقليمي متى أراد النظام، وهو أقرب للاتهامات الأمريكية سيما تلك التي تأتي من أصوات يمينية وترى في سوريا الحلقة الأضعف في محور الشر الإقليمي، لأن يدها تمتد لتصل إلى لبنان وفلسطين والعراق، وبالتالي يظل السؤال المهم مطروحا إلي أي مدى يتمتع النظام السوري بهذه الأوراق الإقليمية التي تؤهله لأن يتحكم في الاستقرار الإقليمي).

أما الوضع بالنسبة لحزب الله، فإن الانسحاب السوري ليس سوى فصل أول وما سيأتي لاحقا على الأجندة الإسرائيلية الأمريكية هو من دون شك مسألة نزع سلاح حزب الله، وهو قرر أن يقاوم في المرحلة القادمة وإن تطلب الأمر أن تكون مقاومة هذا الأمر مقاومة مسلحة (يغفل التقرير هنا التصريحات العديدة التي جاءت على لسان السيد حسن نصر الله نفسه، والذي أعرب فيه عن استعداد الحزب لفتح النقاش حول مسألة السلاح الذي يملكه، وأنه إذا كان بإمكان التوصل إلى صيغة يمكن من خلالها الدفاع عن لبنان ضد أي اعتداء إسرائيلي من دون سلاح الحزب، فإن الحزب حاضر للنقاش، كما أن التقرير أيضا يتجاهل أن هناك إجماعا لبنانيا حتى بين أطراف من المعارضة اللبنانية ويتزعمه بطبيعة الحال رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، والذي طالب في منتديات عالمية آخرها البرلمان الأوروبي الأسبوع الفائت بأن سلاح حزب الله هو شأن لبناني بحت، وأن الوقت قد لا يكون ملائما للتخلي عنه في الفترة الحالية، وأنه لن يسمح ببرلمان يكون معاد لسوريا وللمقاومة).

أما الموقف بالنسبة للسياسيين اللبنانيين بحسب التقرير سواء كانوا في صف الموالاة أو المعارضة، فإن الخروج السوري يعني بالنسبة لهم فتح موضوعات كانت مغلقة أو لم يسمح بتناولها منذ انتهاء الحرب الأهلية، وهي موضوعات تتعلق بالموضوع الطائفي، وتوزيع السلطة والمسألة المتعلقة بحزب الله واللاجئين الفلسطينيين. كل هذه العوامل قد تستغل من قبل اللبنانيين الغاضبين وبعض الفاعلين الخارجيين. وفي بلد مليء بالأسلحة ومعتاد على أن يكون مسرحا لصراعات الآخرين عربية عربية أو فلسطينية إسرائيلية أو حتى فيما بينهم، وهي أيضا بلد على وشك تحول كبير يتعلق بإعادة توزيع السلطة والمصادر، فإن الوسائل والدوافع لممارسة العنف مازالت قائمة بشكل كبير.

ويختتم التقرير بالقول بأن هناك إغراءات كثيرة للولايات المتحدة لأن تستغل الوضع القائم من أجل أن تحقق أهدافا ما، ولكن الأمر يشكل خطورة كبيرة ليس فقط بالنسبة للبنانيين وإنما للمصالح الأمريكية أيضا، ذلك أن المبدأ الأساسي هو ضرورة الفصل بين محاولة استعادة السيادة اللبنانية بما يتضمنه ذلك من إجراء انتخابات نزيهة وبين الموضوعات الأكثر أتساعا وترتبط أكثر بالوضع الإقليمي، والتي من شأنها أن تعرقل الهدف الأول. وسيتطلب الأمر أن لا تربط الولايات المتحدة المشهد اللبناني بالإقليمي، وأن تتبني المعارضة اللبنانية خطا معتدلا وأن لا تلجأ سوريا إلى سياسة الأرض المحروقة بعد خروجها.

للعودة للأعلى